جامعة بجاية

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

السنة الثانية/أدب ولغة الاستاذ: خيار نورالدين

مقياس: المدارس اللسانية.

المحاضرة الرابعة: مختصر المدرسة التوليدية لدى شومسكي.

1- مقدِّمة

يرجع الفضلُ في وضعِ **النظرية النّحويّة التوليديّة** التي أدّت إلى ظهور المدرسة التوليديّة، إلى اللّساني الأمريكي **نوام تشومسكي**، وقد أقامها على أساسٍ نقديٍّ حيث تعرّض فيها أساساً إلى ثغرات نظرية **المدرسة التوزيعيّة**، ليقترحَ بديلاً لها **نظريّة جديدة للبنى التركيبيّة** دون حصرها في لغةٍ واحِدة. وكانت سِهامُ النّقد مصوَّبة كذلك تجاه البنيويّة والوصفيّة والسلوكيّة الآليّة؛ نقوم أدناه بعرض طائفة مِن أسباب ذلك " التصويب ". حسبنا هنا تسجيل بدايات اعتراضات **تشومسكي** على تلك المدارس ولاسيما البنيوية مع **E. Benveniste** الذي قال: «نشاهد في أيّامنا (الستينيات) جهوداً على منوال **تشومسكي** تُكرَّس ضدّ البنيويّة. إنّه قلب الموازين في مقاربته للظّواهِر».

وقد استطاعت هذه النظريّة أن تتبوّأ مكانة معتبرة في البحوث اللّسانيّة الأمريكيّة. ويتمثّل أهمُّ عامِلٍ دفع **تشومسكي** إلى إيجاد هذه النّظريّة هو ـ كما تقدّم ـ اعتقاده بأنّ اللّسانيات البنيويّة لم تأخذ بعدُ حقَّها المشروع ممّا يسمّى بالدِّراسة العلميّة للّغة! فتملّكه بذلك مشروعُ العودة إلى هذا الحق.

2- مرحلة التّأسيس:

اقترَح العالِم الأمريكي **نوام تشومسكي** (1928 .) **Noam Chomsky** في منتصَف القرن العشرين **مقاربة** جديدة رأى فيها المجتمع الجامعي بأنّها جديرة بالترحيب، تتلخّص في مبدأ تخليص اللّسانيات مِن مجرَّد وصف البنية اللّغويّة من أجل الانتقال إلى الإحاطة بالإجراءات التي تتحكَّم في تفسير الجمل وبالكيفيّة التي يتسنّى لها أن تُستوعَب في كلِّ اللّغات، فرأى أنّه بإمكان تحليل تلك الإجراءات بواسِطة **نحوٍ شاملٍ (Grammaire universelle)** وهو النحو التوليدي (Grammaire générative) الذي بدأت نواتُه في كتاب تشومسكي (1957) *البنى التركيبيّة* ***Syntactic structures***.

ويمكِن الدنوّ من ذلك **النحو** من خلال ثلاثة بوّاباتٍ، هي:

- **نظريّة المَلَكة اللُّغوية:** معرفة الإنسان الضمنيّة بِاللّغة (قواعدها التي تتمّ بِها عمليّةُ التّكلُّم).

- **نظريّة الأداء اللُّغويّ.**
- **نظريّة اكتِساب اللُّغة** (خاصّةً عِندَ الطِّفل).

وإذا ابتغينا شيئاً من التفصيل في هذه الثلاثية نُلفي على ضوئها اعتمادَ تشومسكي في وضع نظريّته على **مسلّماتٍ** مؤدّاها:

1. أنّ هدف اللّسانيات ينبغي أن يسعى إلى إبراز البنى اللّغويّة التي تسمح بتوليد (أي إنشاء وإدراك) عددٍ لا متناهٍ مِن الجمل انطِلاقاً مِن عددٍ مَحدودٍ مِن القواعِد.
2. أنّ الطفلَ يتعلّم لغة الأمّ.
3. أنّ الطفلَ يتعلّم لغة الأمّ مِن المحيط الذي يعيش فيه دون اعتبار أصلِه وجنسيته والمجموعة أو الجماعة البشريّة التي ينتمي إليها: فبإمكان طفلٍ إفريقيٍّ مَثلاً أن يتعلّم اللّغةَ الصّينيّة إذا نشأ في محيطٍ صيني.
4. أنّ الطفلَ ـ وفقَ المسلّمة الأولى ـ لا بدَّ أنّه يستوعِب لغةً ما، أي أنّه يملِك معرِفةً ضمنيّة للّغة وتُسمّى هذه المعرِفة ـ كما أسلفنا ـ **المَلَكة اللّغويّة (Compétence linguistique)** وتعني أنّ لكلِّ طفلٍ قدرةً ثابتةً على استِعمال لغة الأمّ. ويعني معرِفةُ لغة معيّنة تخزينَ عددٍ من القواعِد الخاصّة باللّغة المحيطة بالطّفل، وهذا الأخير على أتمّ الاستِعداد لاستِخدامها بفطرته.
5. أنّ الطِّفلَ يعبّر بواسِطة اللّغة ويستعمِلها في وضعياتٍ معيّنة وبكيفياتٍ متفاوتة، وهذا التّعبير هو ما يسمّى **الأداء اللّغويّ (Performance linguistique)** ويعن تحصيل المَلَكة وإنجازها.

ومِن هنا فإنّ النّحو التّوليدي يقوم بوصف القواعِد النّحويّة المستوعَبة المشترَكة بين النّاطِقين بذات اللّغة وتفسيرها عن طريق نظرياتٍ توضَع خصّيصاً لهذا الغرض.

لا تَعتبِر النّظريّة التّوليديّة كمَوضوعٍ لِدراستِها تلك القواعِد النّحويّة الخاصّة، بل تلتمس موضوعَها في وصف الملكة اللُّغويّة وتحليلها. فيُؤدِّي بِذلك وصفُ اللُّغة مِن وجهةِ نظر اللّسانيات التّوليديّة إلى الإحاطة بِكلِّ هذه الجوانِب الأساسيّة: الوضع، والاستعمال الذي يقوم به المتحدِّثون، وطرق تعلّم وتعليم اللّغة. ممّا يستتبع بدورِه شموليّة الدِّراسة لِلُّغة الّتي تَفرِض إنجازًا مُنظِّمًا لثلاثةِ أنواعٍ مِن النّظريّات وهي:

- **نظريّة المَلَكة اللُّغوية**
- **نظريّة الأداء اللُّغويّ**
- **نظريّة اكتِساب اللُّغة.**

*فالنّظريّة الأولى مِن شأنِها أنْ تُخبِرنا عن كلِّ القواعِد والوحدات والضّوابِط الّتي يتضمّنها نَحْوُ تِلك اللُّغة، وتوصَف بِداخِلها مختلفُ المستويات اللُّغويّة الفنولوجيّة، المعجميّة، التّركيبيّة والدّلاليّة.

كما أصبح هذا المفهومُ من الأعراف التي يؤمن بها اللّسانيّون بعد **تشومسكي**، إذ أمكن النظرُ في حدوده إلى اللّغة على أنّها معرفة أكثر ممّا هي طريقة عمل أو صناعة، وهو المفهوم الذي شاع حتى في الاستعمال العام للّغة (**Compétence**) الذي امتدّ إلى ميادينَ وعلومٍ أخرى، ففي أوساط التربية عمومًا يقال عن معلِّم إنّه كفء أي ذو قدرات علميّة (**Compétent**) . وهي بمثابة الملكة . لكنّه لا يُحسِن التّعليم، أي ليس لديه طريقة أو مهارة في الأداء التعليمي ذات فعاليّة ومردوديّة تمكِّنه من إتقان عمله في سياقاتٍ عمليّة متباينة.

*تَستعِين النّظريّة الثّانية بِالتّجريد العقليّ المحْض، أنْتج مَفاهيمَ مُجرَّدة مِثل: **المُتحدِّث المِثاليّ** و**المُستمِع (المُخاطَب) المِثاليّ**، ويتجسّدان كنَموذج في فردٍ واحِد، ويُصرَف . حسب النّظريّة التشومسكيّة . إلى **مُتحدِّثٍ مُستمِعٍ مِثاليٍّ**، لكن السّؤال الّذي يَطرَح نفسَه هو: هل يمكِن تحقيقُ هذا **الفرد النّموذج** في الواقِع؟

*أمّا النظريّة الثالثة إذا أردت تعليمَ الطِّفلَ على هديها الحديثَ فلا تعتمِد كثيرًا التّنميط بواسطة الشّواهِد وتقييده بالمشهورة الّتي هدفها التّحفيظ. فهذا تجميد أكثر ممّا هو حمل على الإبداع، فلا بدّ أن يُعمَل التّفكير أكثر مِن التّذكير. نعرف أنّ ممارستنا للّغة لا يُعدُّ نشاطًا تحليليًّا للّغة نفسها ولا مرتكِزًا على الشّعور أثناء إنتاجه. وإذا أمكن لنا ذكر الحدس الذّي بؤرته اللّغة، سيّما إذا كان الأمرُ يتعلّق بلغة الأمّ، فنجد الممارسة (سواء أثناء الإنتاج أم التّلقّي) متوفِّرة على الفور، مِن غير تدخّل التّحليل أو التّعليل. فالممارسة هنا أشبه ما تكون بالانقيّاد.

4. المدرسة التوليديّة والدّرس اللّغوي العربيّ:

نجد خلال الثّمانينيّات كلاًّ من **ميشال زكريا ومازن الوعر** يُقبلان على ترجمة **النّظريّة التّوليديّة التّحويليّة** وإدخالها في الدّرس النّحويّ العربيّ. وتتسلسل بعدهما محاولاتُ تطبيقها على الجملة العربيّة، كأعمال **عبد القادر الفاسي الفهريّ**. بينما يأخذ تأثيرها ينحسر وبصورة كليّة في الدرس اللّسانيّ الغربيّ خلال تلك الفترة نفسها (الثّمانينيّات)، وذلك على الرّغم من بقاء صداها ساري المفعول.

فهذا **عبده الرّاجحي** يتوسّم في التوليديّة النّظريّة والاتّجاه والمنهج فيأخذ برصدها ويعنوِن لفصلٍ بكامله: '' تشومسكي وأصوله النّظريّة ''وهو يضع المنهج الوصفي «في مقابل ما يُعرف الآن (**الثمانينيات**) بالنّحو التّحويلي Transformational grammar» فيُدخِلنا إلى فحوى المدرسة التوليديّة بهذا المقتَبَس: «أخذت أصول المنهج الوصفي تتطوّر وتزدهر وجعلت قواعده تستقرّ لدى الباحثين اللّغويّين باعتبار الوسيلة " العلميّة " الصّحيحة لدراسة الظّواهر اللّغويّة "كما هي ". وقد شهد علم اللّغة . على هذا المنهج . تقدّمًا ملحوظًا في أمريكا وبخاصّة على النّظام الذي طوّرته مدرسة **بلومفيلد**. وفي سنة 1957 بدأت " ثورة " في الدّرس اللّغوي حين أصدر تشومسكي

كتابه الأوّل **Syntactic structures**، ومنذ ذلك الحين تغيّر اتّجاه " علم اللّغة " من المنهج الوصفي المحض إلى منهج آخر جديد هو ما يُعرف الآن بالنّحو التّحويلي **Transformational grammar**.

والحقّ أنّ تشومسكي يمثّل " ثورة " حقيقيّة لأنّه قوّض الدّعائم التي يقوم علم اللّغة الحديث، وأقام بناء آخر يختلف في أصوله لاختلاف نظرته إلى " طبيعة " اللّغة»

مراجع المحاضرة:

1-نعوم تشومسكي، البنى النحوية، ترجمة يوسف عزيز، ط2، النجاح الجديدة، المغرب، 1987.

2-سليم بابا عمر وباني عميري، اللّسانيات العامّة الميسَّرة: علم التّراكيب، دار أنوار، الجزائر، 1990.

3-أحمد مختار عمر، محاضرات في علم اللّغة الحديث، ط.1، عالم الكتب، القاهرة، 1995.

4-عبده الرّاجحي، النّحو العربي والدّرس الحديث: بحث في المنهج، دار النّهضة العربيّة، بيروت، 1986.

5-حنفي بن عيسى، مُحاضراتٌ في عِلم النّفس اللُّغويّ، ط.2، الشّركة الوطنيّة لِلنّشر والتّوزيع، الجزائر.

6 - محمّد الحناش، البنويّة في اللِّسانيّات، الحلقة الأولى، ط.1، دار الرشاد الحديثة، 1980.